جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

من معالم الوسطية في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر

إعداد

د: السيد ناصر السيد محمد

مدرس الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالديدامون – شرقية

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

ملخص بحث بعنوان (من معالم الوسطية في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر)

إعداد: السيد ناصر السيد محمد

مدرس الأدب والنقد المساعد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية

جامعة الأزهر- المدينة: فاقوس الدولة: جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: dalsayed٣٣@gmail.com

ملخص البحث:

يهدفُ البحثُ إلى إبرازِ قيمة، وجمالِ اللونِ الشعريِّ الجديد عند شعراء الأزهر المعاصرين الذين لم يُفتنوا بالحداثة الهادمة للأصول الثابتة لشعرنا العربي الشامخ، بل اختطوا لفنهم خطًا وسطًا يحفظ للشعر هيبته ومكانته وثوابته من جهة، ومن جهة أخرى يستنشق رحيق الحداثة المطورة والداعمة للفن الشعري التليد.

يقوم البحث على نماذج من شعر التفعيلة لأعلام المدرسة الشعرية الأزهرية من أمثال الشعراء، أ.د: محمد أحمد العزب، أ. د: صابر عبد الدايم، أ. د: أمين عبدالله سالم أ: محمد إبراهيم أبو سنة أ:عبدالله السيد شرف، ويسعى البحث من خلال الشواهد الشعرية لإثبات الاعتدال والوضوح والنفعية في الرؤى والمضامين، والتوسط والالتزام بثوابت عمود الشعر من الجانب الفني عند هؤلاء الشعراء، فمثلًا تأتي أغلب الموضوعات هادفة مفيدة للقارئ العربي، كالموضوعات الدينية، والقومية، والاجتماعية، والإنسانية، ومن الناحية الفنية البنائية نجد الوزن والقافية يتعاقبان-في قصائدهم التفعيلية- تعاقب الليل والنهار، فإنْ بُنيتْ القصيدة على نظام السطر، أو الجملة، أو المقطع الشعري تجد القافية هي الضابط الرئيس للبنية الإيقاعية في القصيدة، على النقيض من شعراء الحداثة الهادمة.

وتتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر، والمراجع، وآخر للموضوعات؛ ففي المقدمة ذكرت أهمية الموضوع، وأسباب، اختياره، ومنهجه، وخطته، وفي التمهيد عرَّفت بمصطلحي الوسطية، وشعر التفعيلة، وأما المبحث الأول؛ فقد تناولت فيه الرؤى

الموضـــوعية المختلفة التي قامت على معيار الوســـطية الفنية، وفي المبحث الآخر (معالم الوســـطية في البناء الفني لقصـــيدة التفعيلة، ويتفرع إلى ثلاثة مطالب، الأول، الوســـطية في المعجم الشـــعري، الوسطية في الصورة الشعرية، والثالث، الوسطية في الإيقاع الموسيقي .

منهجية البحث: يتأسس هذا البحث منهجيًا على التحليل المنبثق عن القراءات النقدية للنصوص الشعرية من النمط التفعيلي، ثم إصدار الأحكام والنتائج.

الكلمات المفتاحية:- (الوسطية- شعر التفعيلة- شعراء الأزهر).

Among the features of moderation in the poetry of Al-Tafilah for the poets of Al-Azhar

Alsayed Naser Alsayed Mohamed

Department of Literature and Criticism، faculty of Islamic Studies and Arabic Male، Al Diadamon ، Sharqia، AL-Azhar University city: Faqus Country ،Arab Republic Of Egypt.

Email: d.alsayed٣٣@gmail.com

Abstract:

The research aims to highlight the value and beauty of the new poetic color of the contemporary Al-Azhar poets who were not fascinated by the destructive modernity of the fixed assets of our lofty Arabic poetry. Rather، they chose a middle line for their art that preserves poetry's prestige، position، and constants on the one hand، and on the other hand it inhales the nectar of modernity developed and supporting the ancient poetic art.The research is based on samples of Al-Fathila poetry for the flags of the Al-Azhar poetic school، such as poets، Prof. Dr. / Mohamed Ahmed Al-Azab، Prof. Dr. Saber Abdel Dayem، Prof. Dr. Amin Abdullah Salem A/ Muhammad Ibrahim Abu Sunna A/ Abdullah Al Sayed Sharaf. The research seeks through poetic evidence to prove moderation، clarity and expediency in visions and contents، and mediation and adherence to the constants of poetry from the artistic side of these poets. For example، most of the topics are purposeful and useful to the reader The Arab، such as religious، national، social، and human subjects، and from a structural technical point of view، we find the weight and rhyme alternate - in their activating poems - the succession of day and night. ، in contrast to the destructive modernist poets.The research plan consists of an introduction، a preface، two chapters، a conclusion، an index of sources، references، and another topic. In the introduction، I mentioned the importance of the topic، the reasons for its selection، its methodology، and its plan. It dealt with the various objective visions that were based on the standard of artistic moderation، and in the other section (the features of moderation in the artistic construction of the activating poem، and it is divided into three demands، the first، the images of

moderation in the poetic lexicon، images of moderation in the poetic image، and the third، moderation in the musical rhythm .Research Methodology: This research is based systematically on the analysis emanating from critical readings of poetic texts of the activating style، then issuing judgments and results.

Keywords: - (Al-Wasatiya - Al-Tafilah poetry - Al-Azhar poets).

مقدمة

الحمد لله الواحد المعبود، عمَّ بحكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، وأصلي وأسلم على خير من نطق بالضاد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد،،

فإنَّ شعرَ التفعيلة لونٌ جديد من ألوان التجديد في الشعر العربي في العصر الحديث؛ تباينتْ حول ماهيته ومعالمه وجهات نظر الدارسين والنقاد؛ فكان لابد من إماطة اللثام عن بعض معالمه وقضاياه، ولما كانتْ الوسطيةُ الفنيةُ في شعر التفعيلة تعني الجودة، والبراعة، والتطوير، وعدم الإفراط في ثوابت الشعر العربي الشامخ؛ اخترتُ مجموعةً من شعراء الأزهر المشهورين من المعاصرين؛ متخذًا من نتاجهم الشعري مادة علمية لتجلية معالم الوسطية الفنية في هذا النمط الشعري الجديد؛ ومن هنا يأتي السؤال، لماذا شعراء الأزهر دون غيرهم؟ وهل هم- فقط- من تحققت الوسطية الفنية في شعرهم، وانتفت عمن سواهم؟ .

والحق أنَّ الإجابة عن هذين السؤالين تكمن في الآتي:-

أصالة التجربة، ووضوح الرؤية، والوعي والإدراك لجوهر الفن الشعري الحقيقي من حيث الالتزام بوحدة الوزن، وسحر إيقاع القافية سماتٌ تحققت عند هؤلاء الشعراء؛ فجاءت وسطية الشعر التفعيلي -لديهم- وسطية مجددة مطورة، أما عن تحقق الوسطية في شعر غيرهم فهذا أمر لا مراء فيه؛ لكن وقع اختياري عليهم بالذات؛ وفاء واعتزازًا بالمنهج الأزهري الوسطي المستنير، إضافة إلى ما سبق من تمكنهم من الفن الشعري، لا سيَّما في لونه التفعيلي محل الدراسة .

هذا، ويهدف البحثُ إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما مفهوم وسطية شعر التفعيلة؟ ماهي معالم الوسطية في الموضوعات الشعرية عند شعراء الأزهر؟ ما هي معالم وسطية الشكل الفني لشعر التفعيلة عند شعراء الأزهر؟ وهل تحققت هذه الوسطية في شعرهم أم لم تتحقق ؟ .

هذا، وقد اعتمد البحثُ على المنهج الوصفي التحليلي مستنبطًا نتائجه وأحكامه النقدية من خلال تحليل عناصر البناء الفني لشعر التفعيلة.

وجاءتْ خطةُ البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرسٍ للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

ففي التمهيد عرفتُ بالوسطية لغة واصطلاحًا من منظور أدبي، ثم عرضت لمفهوم شعر التفعيلة.

وفي المبحث الأول: تحدثتُ عن وسطية الرؤىٰ في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر

وفي المبحثِ الآخر: تناولتُ معالم الوسطية في الشكل الفني لشعر التفعيلة عند شعراء الأزهر.

كما احتوتْ الخاتمة علىٰ أبرز النتائج، وأهم التوصيات التي خرج بها البحث.

هذا، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد.

تمهيد: (مفهوم الوسطية، وشعر التفعيلة)

قبل أن يلج البحثُ عالمه الرئيس مناقشًا معالم الوسطية الفنية في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر يجدرُ به أن يعرض- في إيجاز- مفاهيم المصطلحات الآتية:-

أولًا- الوسطية :-

أ-الوسطية في اللغة: تدور مادة (وَسَطَ) في لغة العرب حول عدة دلالات متقاربة، ومنها :-

١-الأجود والأفضل:

يقال رجل وسيط: حسن، وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها، وهو أجودها[١].

٢- العدل والنصف:

قال ابن فارس: الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه[٢].

٣- ومن معانيها- أيضًا- الحسب والشرف، يقال: فلان من أوسط قومه: أي من أشرفهم، وأرفعهم مجدًا، كما تطلق الوسطية في اللغة، ويراد بها: ما بين الجيد والرديء، يقال: شيء وسط أي: بين الجيد والرديء، قال ابن الأثير: كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان؛ فإن السخاء وسط بين البخل، والتبذير، والشجاعة وسطٌ بين الجبن، والتهور[٣].

وقد يخلط بعض الدارسين بين معاني وسَط بفتح السين، ووسْط بتسكينها؛ والحق أنّ بينهما بون شاسع؛ فالأولى تفيد معاني الجودة، والحسن، والخير، والأفضلية، والاستقامة، والأخرى تعنى منتصف الشيء من دون كونه الأفضل والأجود .

---

١ - ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ت: الأساتذة: عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي٦/ ٤٨٣١، الناشر: دار المعارف، د. ت، مادة (وسط) والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار : ٣/ ١١٦٧، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م، ط٤ .

٢ - ينظر: مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام هارون،٦/ ١٠٨، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م .

٣ - ينظر: الصحاح مادة (وسط) ٣/ ١١٦٧ .

الوسطية في الاصطلاح الأدبي: -

لا تبعد الوسطية في مدلولها اللغوي عن مدلولها الاصطلاحي؛ " إذ يسعى المذهب الأدبي الوسط إلى تحقيق أسمى صورة من صور الإبداع، وذلك عن طريق التوسط بين كل ما له طرفان من خصائص الإبداع؛ بغية تنزيه الإبداع عن التفريط والإفراط، وهذا مناط الجودة والخيرية المطلقة، لا في الإبداع فحسب، بل في كل جوانب الحياة"[1].

ويقترب الدكتور: وليد القصاب كثيرًا من هذا المفهوم؛ فيقول: الوسطية في الأدب هي عدم التفريط بقيمة أي عنصر من عناصر العمل الأدبي لحساب عنصر آخر، كأن نُعنى بالشكل، ونهمل المضمون، أو العكس، إنَّ هذه الوسطية في الأدب تسعى إلى استثمار الحسن الموجود في كل عنصر من عناصر العمل الأدبي، وتوظيفه في الإبداع؛ ليكون هذا الإبداع خيِّرًا إيجابيًا، فيه المتعة والفائدة، والجمال والنفع، وما يخاطب العقل والحس والوجدان، وما يخاطب الروح والجسد[2].

آخرًا- شعر التفعيلة :-

لون حديث من الشعر يعتمد فيه الشاعر على نظام التفعيلة، وليس البحر العروضي، يختارها- في الأغلب-من أبحر ذات تفعيلة واحدة متكررة مفردة مثل، تفعيلة(المتدارك- المتقارب-الكامل- الرمل- الوافر-الرجز) من غير أن يتقيد بعددها الوارد في نظام العروض، كما أنَّه لا يتقيد بقافية معينة؛ إذ تأتي في قصيدة التفعيلة بشكل غير منتظم، أو قد يتكرر فيها حرف الروي فقط، أو حرف قريب في المخرج والصفة من حرف الروي؛ لكن لا تنتظم فيه القافية الكاملة كما تنتظم في الشعر البيتي.

١- المذهب الأدبي الوسط، للدكتور: يوسف محمد فتحي عبد الوهاب، ص٥٣٨، المجلد السابع، العدد رقم (٢٨) حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية .

٢ - ينظر: الوسطية في منهج الأدب الإسلامي تأليف أ . د/ وليد إبراهيم القصاب، ص٣٤، ٣٥ بتصرف، الناشر: روافد تابعة لشئون الأوقاف بدولة الكويت- ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، الطبعة الأولى .

وتطلق عليه (نازك الملائكة)- وهي من الرواد الأوائل الذين كتبوا هذا اللون الشعري، ونظروا له بالنقد والتطبيق-اسم الشعر الحر؛ انطلاقًا من حرية الشاعر في استخدام عدد معين من التفاعيل في السطر، أو الجملة، أو المقطع الشعري؛ إذ تقول: هو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت؛ وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر، ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه؛ إذن فأساس الوزن في الشعر الحر أنَّه يقوم على وحدة التفعيلة، فلو اختار الشاعر مثلًا تفعيلة بحر الرمل يلتزم بقانونها العروضي، لا يخرج عنه، كما ترى أن نظم الشعر الحر بالبحور الصافية(المفردة) أيسر على الشاعر من نظمه بالبحور الممزوجة؛ لأنَّ وحدة التفعيلة هناك تضمن حرية أكبر، وموسيقى أيسر فضلًا عن أنَّها لا تتعب الشاعر في الالتفات إلى تفعيلة معينة لابد من مجيئها منفردة في خاتمة كل شطر[1].

هذا، وقد كثرت مسميات، ومصطلحات هذا اللون الشعري؛ نتيجة للتفاوت والتباين الحاصل في فهم كل ناقد ودارس لطبيعة تجارب هذا الشعر؛ فيطلقون عليه(الشعر الجديد- الشعر الحر- شعر التفعيلة- شعر الشطر الواحد).

وقد اختار البحث مصطلح شعر التفعيلة؛ لأنَّه أنسب وأبلغ وصف لهذا النمط من الشعر؛ فالشعر الجديد مصطلح عامٌ، يشمل ألوانًا أخرى من الشعر، كالشعر المرسل مثلًا، وأما الشعر الحرّ فهو وصف غير دقيق؛ إذ إنَّ كلمة حرّ توحي بتحرره من قيود الشعر الموزون المقفى، حتى ولو قصد بها قائلها الحرية في عدد التفعيلات وصور استعمال البحور في كل شطر، أو في القصيدة الواحدة.

ويتفق البحثُ مع ما ذهب إليه الدكتورُ: محمود السمان؛ حيث قال: شعر التفعيلة وليدٌ شرعيّ للشعر العمودي؛ فهو فرع عنه، ومشتق منه؛ لأنَّه يقوم على أساس من وحداته الموسيقية؛ فتفعيلاته، وزحافاته، وبحوره، وقوافيه مأخوذة من الشعر العمودي مع تعديلات فيها؛ لتناسب الشكل الجديد؛

١- ينظر: قضايا الشعر المعاصر تأليف: نازك الملائكة، ص٦٠، ٦٣، ٦٤، منشورات مكتبة النهضة، ١٩٦٧م، ط٣.

إذن فارتباط شعر التفعيلة بالشعر العمودي ارتباط عضوي، بحيث لا يستطيع شاعر أن يكتب شعر التفعيلة إلا إذا استطاع أن يكتب شعر الشطرين (العمودي)[1].

" والواقع أنَّ الشعرَ الحرَّ جار على قواعد العروض العربي، ملتزم لها كل الالتزام، وكل ما فيه من غرابة أنَّه يجمع (الوافي، والمجزوء، والمشطور، جميعًا)[2].

بما يعني أنَّ قصيدة التفعيلة تجمع بين طياتها وسطورها كل صور البحر العروضي المتوارث؛ فمثلًا بحر الكامل له تسع صور عروضية، هي حاصل أحوال عروضه مع ضربه؛ إذ إنَّ له ثلاثة أعاريض، وتسعة أضرب، أتى عليها في التراث الشعري العربي- قديمًا وحديثًا-، كل صورة عروضية في قصيدة مستقلة، بحيث لا يجوز للشاعر أن يزاوج بين صورة وأخرى، بينما في شعر التفعيلة فمسموح للشاعر أن يوظف بعض أو كل هذه الصور في القصيدة الواحدة.

وبعد أن عرض البحث لمفهومي الوسطية، وشعر التفعيلة، يجدر به أن يقدِّم مبحثه الأول حول الوسطية في الرؤى والمضامين في قصائد التفعيلة عند شعراء الأزهر .

---

١ - ينظر: العروض الجديد(أوزان الشعر الحر وقوافيه) د/ محمود على السمان، ص١٧١، بتصرف، الناشر: دار المعارف، ١٩٨٣م .

٢ - قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، ص١٢٢ .

المبحث الأول:- وسطية الرؤى في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر .

الوسطية في الشعر لا تعني وسطية المستوى الفني الذي يقدمه الشعراء في قصائدهم؛ فهذا المعنى غير مراد؛ فضلًا عن كونه لا يتلاءم مع المعنى الاصطلاحي للوسطية الأدبية التي عرضها البحث سالفًا؛ بل إنّ الوسطية التي نبتغيها تكمن في روعة الفن، وإيجابية المضمون، وجمال الصياغة، ودقة البناء، مع جودة السبك، وتوازن وتناغم الشكل مع المضمون، وتلك غاية الشعر الحقيقي المطبوع الأصيل.

والحق أنَّ شعراء الأزهر المعاصرين قد انطلقوا في قصائدهم التفعيلية من هذا المنطلق؛ فجاءت رؤاهم هادفة مفيدة نافعة، ومنها :-

أولًا-الرؤية الإسلامية: -

فها هو ذا الشاعر الأزهري الأصيل(عبدالله شرف)[1] يسمو بروحه الشعرية العالية في سماوات طلب المغفرة والعفو من الله-تعالى- في قصيدة(الاعتراف)، يقول مناجيًا ربه- سبحانه وتعالى- على تفعيلة المتقارب(فعولن) :

أذقْني حلاوةَ عفوك عنِّي
فإنِّي مقرٌّ
بما كان مني
ومنَّ لي يا رب إن لم تكن لي[2]

١- هو الشاعر عبدالله السيد شرف، ولد في قرية (صناديد) التابعة لمحافظة الغربية عام ١٩٤٤م، تلقى تعليمه بالأزهر الشريف في معهد طنطا، وحصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٧١م، ثم التحق بكلية التجارة جامعة الأزهر، وتخرج فيها عام ١٩٧٦م، أصيب بمرض ضمور العضلات إلا إنه لم يمنعه من كتابة الشعر؛ حيث أصدر سبعة دواوين شعرية، كما أنه يكتب الشعر البيتي والتفعيلي باقتدار، ينظر: شعر عبدالله شرف دراسة موضوعية وفنية، للباحث: فواز بن عبدالعزيز اللعبون، ص٧، وما بعدها بتصرف، رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وهى مرفوعة على شبكة المعلومات الدولية- الإنترنت .

٢- ديوان: تأملات في وجه ملائكي، تأليف: عبد الله شرف، ص٦٤، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عن سلسلة إشراقات أدبية، ١٩٧٨م، ط١ .

كما نرىٰ الشاعر والناقد الكبير أ. د/ (صابر عبد الدايم)(١)- وهو غنىٰ عن البيان، جلي من دون برهان- ينطلق في جل شعره من الرؤية الإسلامية الهادفة التي تحقق النفع والإمتاع للمتلقي، ففي قصيدة (القبو الزجاجي)، وهىٰ عبارة عن رسالة إلىٰ (محمد الفاتح) قائد الفتوح الإسلامية في بلاد البلقان، وفيها يقول الشاعر علىٰ تفعيلة بحر الرمل(فاعلاتن) وما يطرأ عليها من تغيير مسموح به في قانون علم العروض:-

أيُّها الفاتحُ... ضيعنا مفاتيحَ المدائنْ
ونسينا البحرَ.. والموجَ وتهليلَ السفائنْ
ونسينا الخيلَ والرمحَ وأسرارَ الكمائنْ
سورةُ الفتحِ هجرناها.. وبددنا صداها
وتراءتْ في حنايانا أنينًا وحنينًا
كلُ أشجارِ الفتوحاتِ أراها
عارياتٍ من رؤاها(٢)

---

١ - ولد في إحدىٰ القرىٰ الريفية بمركز ديرب نجم، محافظة الشرقية، مصر، حصل علىٰ الثانوية الأزهرية عام ١٩٦٨م، ثم حصل علىٰ الإجازة العالية من كلية اللغة العربية بالقاهرة، عام ١٩٧٢م، والماجستير في الأدب والنقد، عام ١٩٧٥م، ثم الدكتوراه عام ١٩٨١م، تدرج في مناصب الجامعة حتىٰ عين عميدا لكلية اللغة العربية بالزقازيق، وهو- الآن- يعمل أستاذا متفرغا بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق، شعره يمثل صحوة ثقافية مهمة في تاريخ الثقافة الإسلامية المعاصرة، أصدر مجموعة كبيرة من الدواوين الشعرية، جمعت مؤخرًا في أعماله الشعرية الكاملة التي صدرت عن دار الكتاب الحديث بالقاهرة، ودار كشيدة للطباعة والنشر والتوزيع، ينظر: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتىٰ سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، ٢/ ٤١٧، باب الصاد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٢٤ه-٢٠٠٢م، ط١ .

٢ -ديوان العمر والريح، د. صابر عبد الدايم، ص٣٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م .

فالشاعر يستحضر شخصية البطل الإسلامي (محمد الفاتح)؛ ليوقظ الهمم الساكنة، والطاقات الكامنة؛ وليكشف عن حاجة الأمة الإسلامية والعربية-في وقتنا المعاصر- إلى مثل هؤلاء الأبطال الذين يستطيعون تغيير حالها وواقعها، ومعالجة أخطائها، والسير بها نحو الأمام.

ثانيًا-الرؤية الوطنية والقومية :-

تغنى شعراء الأزهر بحب الوطن، والإخلاص لترابه وهوائه، وأرضه، وسمائه، كما كتبوا شعرًا حقيقيًّا يدعو إلى ضرورة تحقق القومية العربية، والوحدة الإسلامية منطلقين من وسطية فنية مبدعة، يقول الشاعر(محمد إبراهيم أبو سنة)[1] في قصيدة(وطنٌ يقومُ من المنام) حالمًا بوطنٍ عربيٍّ قويٍّ جديدٍ على تفعيلة الكامل:

مدنٌ يظللها النعاسُ...
فلا يصح بها الصحيحُ
وَسَنٌ مريحٌ
يُفْضِي إلى وسنٍ مريح
والريحُ تنقلُ خُطْوها من أولِ الزمنِ الجريحْ
لآخر الزمنِ الجريحْ إلى أن يقول: وطنٌ يفر من الوداعةِ... والإقامة في الكلام
وطنٌ يفرُّ من الهوانِ إلى الحِمامْ
ليغير الدنيا فينسلخُ الضياءُ من الظلامْ

---

١ -ولد أبو سنة في ١٥ مارس ١٩٣٧م في قرية (الوِدّي) بالصف، محافظة الجيزة، عاش طفولته في أسرة متوسطة، بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم بقريته، التحق بالمعهد الديني بالقاهرة، وتدرج في مراحل الدراسة في الأزهر حتى حصل على ليسانس الدراسات الإسلامية والعربية عام ١٩٦٤م، طبعت أعماله الكاملة في أربعة أجزاء، يعد أحد أبرز الأسماء الشعرية في مصر والعالم العربي، يمثل مع جيله الموجة الثانية من قصيدة الشعر الحديث في الستينيات، ينظر: الأعمال الشعرية الكاملة: محمد إبراهيم أبو سنة،٤/ ٣٨٧، وما بعدها، بعنوان سيرة الشاعر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٤م، ط١

وطنٌ يغالبُ نفسَهُ

وطنٌ يقومُ من المنامْ[1].

يقدم الشاعر رؤية واضحة تكشف عن الواقع العربي المكلوم المثقل بالمآسي، والنكبات متفائلًا- في الوقت ذاته- بغدٍ أفضل، وضياءٍ جديد مشرقٍ يمحق ظلام الماضي، ويذيب عتمة الحاضر .

ونجد الشاعر الدكتور(محمد أحمد العزب)[2] يتغنى بحب مصر في قصيدة(أكتب من منفاي إليكِ إلى مصر)؛ حيث يقول على تفعيلة الكامل:

يا حُلْوتي..

هم يعرفونكِ جملةً... وأنا عرفتكِ في التفاصيلِ الصغيرةْ

هم يعرفونكِ أطلسًا..

ومتونَ تاريخٍ وبعض قياصر حكموا وأحداثًا كبيرةْ

يا حُلوتي هم يعرفونكِ .. أسهمًا في بورصةِ الأوراق ..

أرصدة مرابية التداول ....إلى أن يقول:

تبيعُ حتى النيل والأهرام والشمس الأخيرة[3].

١- الأعمال الشعرية الكاملة: محمد إبراهيم أبو سنة، ٢/ ٧٤، ٧٨ .

٢-ولد عام ١٩٣٢م بمدينة المنصورة محافظة الدقهلية.. حصل على دكتوراه في الأدب والنقد عام،١٩٦٤..تدرج في وظائف هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بالمنصورة حتى عين أستاذا ١٩٨٥وعميدا ١٩٩٥..له مشاركات متعددة في الندوات والمهرجانات الأدبية وقد نشر أعماله في الدوريات العربي ، من دواوينه الشعرية: أبعاد غائمة١٩٦٤.. مسافر في التاريخ١٩٧٠..أسألكم عن معنى الأشياء١٩٧٦..عن التعامد والانحناء١٩٩٤م، ينظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ٤/ ٧٥٨،الناشر: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، هيئة المعجم، ١٩٩٥م .

٣- الأعمال الشعرية الكاملة، شعر دكتور: محمد أحمد العزب، ص٢٥٥، وما بعدها، طبعة خاصة على نفقة الشاعر، ١٩٩٥م، ط١ .

فالشاعر يسخر ممن ينهبون ثروات ومقدرات ومستقبل مصر الأبية، ويكشف عن شدة وفائه وإخلاصه في حب وطنه .

هذا، وقد شغلت القضية الفلسطينية مساحة واسعة في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر، فها هو الشاعر(عبدالله شرف) يقدم رؤيته عن السلبية العربية، والأنين المتواصل للقدس الشريف، فيقول على تفعيلة الكامل:-

وعلى المدى كُتل اليهودْ
يَتورَّكونَ القدسَ.. في شبقٍ رهيبْ
والشرقُ إعصارٌ.. يُقرفصُ في غباءْ
والشرقُ قنديلٌ عجوزْ
عفوًا إذا مارستُ في الشعرِ الرموزْ
فجماجمُ الأطفالِ والبسطاءِ والغزلانِ في الميدانِ أكوامٌ
كمثلِ القمحِ في وسطِ الحقولْ[1].

كما يستلهم الشاعر(صابر عبد الدايم) شخصية الفاروق عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- في قصيدة(العهدة العمرية قراءة عصرية) رغبة منه في استرجاع المجد العربي الغابر، والعزة الإسلامية الآفلة، وبث روح الأمل، والرحمة، والحب، والعدل في نفوس كل حكام العرب، يقول على تفعيلة المتدارك:-

يا بنَ الخطابِ خُطَاكَ تَهلُّ وتشرقُ في ثغرِ الشامْ
ها أنتَ تجيءُ على كفيكَ موازينُ الحبِ وأشواقُ سلامْ
هل جاعتْ شاةٌ أو ضاعتْ أممٌ في أطراف الشام...
فجئتَ تغذيها أمنًا وحبورًا ووئامْ[2].

---

١ - ديوان القافلة، تأليف: عبد الله شرف، ص٨، الناشر: سلسلة أصوات معاصرة الزقازيق ١٩٨٤م .

٢ -ديوان العمر والريح، ص٤٥ .

ثالثًا- الرؤية الوجدانية:-

يُعوِّلُ كثيرًا شعراء التفعيلة على الدفقات الشعورية التي تلامس الحس والوجدان، وتخاطب الإنسان في كل مكان، وزمان، والحق أنَّ شعراء الأزهر لم يكونوا بمعزل عن الرؤى الوجدانية السامية؛ فقد تراها في رثاء حبيب، أو في الهيام بالمحبوبة، أو في موقف إنساني عابر، يحسبه الناس عابرًا؛ لكنه ليس كذلك على وجدان ونبض الشاعر، إنَّه الشعر" الذي يعبر عن انفعالات قائله الشخصية، وما يكتنف وجدانه من مشاعر وخواطر وعواطف مختلفة، وما تنطوي عليه تلك العواطف، والعوالم من مستويات نفسية وفنية تتجاوز تلك الأحاسيس الفردية إلى تصوير أشواق الإنسان، وطموحه وقلقه وهمومه في مرحلة من شأنها أن تثير في النفس كل هذه الألوان من العواطف والأحاسيس"[1].

يقول أستاذنا الراحل(أمين سالم)[2] مرثية في والده بعنوان(دمعة) على تفعيلة الكامل:

أبتي الحبيبُ / إني لقيتك بعد يوم/ يومٍ وليلة
لكنما وكأنَّما مرتْ قرونٌ/ منذ ارتحلتْ
ووقفت في مثواكَ أنثرُ دمعة
لما دعوتُ القبرَ لكن لم يجبْ
لِمَ لا يجيب ؟

---

١ -الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د: عبد القادر القط، ص٤٩٠، الناشر: دار النهضة العربية بيروت- ١٤٠١هـ، ط٢ .

٢-الأستاذ الدكتور أمين عبد الله سالم، ترقى في العمل الأكاديمي الجامعي حتى عمل أستاذًا للغويات في كلية اللغة العربية بالمنوفية، فرع جامعة الأزهر، وكان رئيسًا لقسم اللغويات بها، وعضوًا للجنة المحكمين لترقية الأساتذة بالجامعة.. وهو العلَّامةُ الذي لا زال نجم العلم به بازغا، ومنهل جوده لورديه عذبًا سائغا، وثمرُ كَرَمِه لجُنَاة رِفده حلوًا بالغًا، له ديوان شعري كبير من جزأين، ويكتب الشعر البيتي والتفعيلي بمهارة وإتقان، ينظر: شعر أمين عبدالله سالم دراسة موضوعية وفنية، للباحث: هاني جمعة القرضاوي، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اللغة العربية بالزقازيق عام ٢٠١٧م .

وكأنَّه يرثي فؤادي لوعةً

وسمعتُ في قلبي النحيبْ[1]

كما كتب قصيدة في شوقه لصديقه (فاروق راشد) تتكئ على وجدانه، وتتجلى فيها سمات الصدق الفني، وحرارة العاطفة، يقول على تفعيلة الكامل:-

فاروق يا إنسانُ

فوق معالم الإنسان أنتَّ

لا تزعمنَّ البعدَ عنك مطيَّة السلوى

فلكم أبَثُّ مع الليالي طيفك النجوى

والآن أرجو أن تعيشَ كما تشاءْ

فالعمرُ- يا فاروقُ- ضاع كطيفِ أوهامٍ هراء!![2].

وعن تعلق الوجدان بالمرأة، والتغزل العفيف في محاسنها، يقدم الشاعر(محمد أحمد العزب) هذه القصيدة (اعترافات امرأة رائعة)، ومنها على تفعيلة(الوافر) :-

على مهلي

تقول حبيبتي ..

وأنا أغامر في خرائطها: على مهلي

وتردفُ: دُخْتُ ..

داخ الغيمُ في ثمري، وفي نخلي

حبيبي حُطَّني عن ساعديكَ

ودُسَّ على رمْلي

١- صدى الأيام شعر أمين عبدالله سالم (أغنية على شواطئ الضياء) ٢/ ٩٧، الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، شبين الكوم- المنوفية ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ط١ .

٢ - ديوان صدى الأيام، ٢/ ٩٦ .

وعذِّبني أنا ما ثُقْتُ في عمري إلى رجلٍ سواكَ

ولا اعترفتُ له بضعفي الحلوِ يا ويلي[1].

وهكذا عبَّر شعراءُ الأزهر عن رؤاهم الشعرية متخذين من الوسطية والجودة، والحسن منهاجًا قويمًا في عرض رؤاهم التي جاءت نافعة مفيدة، كما تجلى وفاؤهم لوطنهم وقوميتهم العربية والإسلامية من خلال الدرر الرفيعة التي قدموها في هذا الميدان، كما حملت رؤاهم الوجدانية دفقات حية من المشاعر التي أسهمت في إيجاد مشاركة وجدانية بين المبدع، والمتلقي.

ومما يجدر ذكره أنَّ البحث قد اكتفى بإشارات من نماذج قليلة في مبحث وسطية الرؤى الشعرية؛ نظرًا للالتزام فيه بعدد معين من الصفحات، هذا من جانب، ومن جانب آخر ليتحقق للبحث تركيزه وتكثيفه.

وبعد أن عرض البحث لجانب من الموضوعات المطروحة في نتاج بعض شعراء الأزهر المعاصرين من شعر التفعيلة يطيب له أن يناقش الجانب الأهم في البحث، وهو الوسطية الفنية في الشكل التفعيلي .

---

١ – الأعمال الشعرية الكاملة، ص٨٠ .

المبحث الآخر:- من وسطية الشكل في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر.

أعني بالشكل-هنا- الصياغة والبناء وطريقة تقديم النص الشعري، وهو أحد ركني الإبداع الأساسيين(الشكل- والمضمون)، ولا يوجد إبداع حقيقي- قديمًا أو حديثًا- إلا واعتمد على جمال الشكل مع وضوح وعمق المضمون، فكلاهما يكمل ويعضد الآخر؛ لذا لا يستغني أحدهما عن الآخر، والقصيدة الجيدة هي التي تقدم شكلًا فنيًا رائعًا، وفي داخله مضمون فني رائع، ومن خلال هذه الازدواجية اللازمة يحصل المتلقي على شعر حقيقي أصيل، يحمل خاصتي الإبداع: الفائدة، والإمتاع .

أولًا- المعجم الشعري، (الألفاظ والأساليب):-

من الوسطية الفنية في الشعر أن تأتي ألفاظه وأساليبه تتسم بـــــــــــ(الدقة، والإيحاء، والسهولة، والألفة، والطرافة، والشاعرية، والاستعمال، والإفادة، والرقة[1]، كما يجب الملاءمة بينها وبين موضوع التجربة الشعرية .

في قصيدة(فلسطين ربما) للشاعر(أمين سالم) يقدم معجمًا شعريًا يفور بالرمز، والحيوية، والجودة، والإيحاء؛ فيقول على تفعيلة (الرمل):-

رُبَّما...
يصحو النهارُ
وينام الليلُ في أقصى المدارْ
ويسيلُ اللحنُ في أدغالِ غابهْ
وتهز النسمة البيضاءُ بابهْ
وتدار.. مثلما كانت تُدارْ
بين أيدينا كؤوس من ألقّ..
وتذوب فوق أشلاء الدروبْ[2].

١- ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوى، ص٤٥٢ وما بعدها بتصرف : دار نهضة مصر سبتمبر ١٩٩٦م.

٢ - ديوان صدى الأيام(أجنحة البحيرة) ١/ ٣٦ .

يلاحظ جزالة الألفاظ مع سهولتها، وإيحائها مع قوتها، ومناسبتها للجو النفسي والتجربة الشعرية، تأمل ألفاظ (النهار- الليل- اللحن- النسمة البيضاء- الدروب) تجدها ألفاظًا واقعية قريبة من ذهن المتلقي استطاع الشاعر توظيفها بكل براعة داخل بنية النص حتى اكتسبت دلالات جديدة، وظلالًا عديدة؛ فالنهار الحسي المعروف أصبح -في النص- رمزًا للنصر، والليل البهيم المعتم جاء رمزًا للحزن والانكسار، واللحن الشجي المطرب جاء رمزًا للأمل والتفاؤل، والنسمة البيضاء جاءت امتدادًا للخيال الناتج عن رمزية اللحن وتأكيدًا له، والدروب هي الطرق والسبل المؤدية إلى النصر، وهكذا جاءت الألفاظ مفعمة بالشاعرية، دقيقة موحية في تمدد خيالي فني رفيع .

وفي قصيدة(سيدة النهر) يقول الدكتور(صابر عبد الدايم) على تفعيلة الكامل:-

سيدتي تسكنُ ذاكرتي..

فستانًا منسوجًا منْ وردِ الأشواقْ

منقوشًا بأزاهيرِ الأطيافِ وأنغامِ الأحداقْ

سيدتي تسكُنُني تكتبُني ..

تزرعُ صحراءَ ليالَيَّ نخيل وصالٍ وكرومَ عناقْ[1].

تأمل هذا الأسلوب الخبري الشاعري الذي يرسم للمحبوبة لوحة جميلة؛ إذ إنَّها فستانٌ منسوج من ورد الأشواق، مزخرف بالأزاهير والأنغام، وقد وُفِّقَ الشاعر في انتقاء معجم شعري مشع مكثف مستخدمًا الأسلوب الخبري مُكَثِّرًا من الأفعال المضارعة؛ ليثبت أنَّ حبه راسخ قديم يتجدد عطاؤه مع مرور الأيام والسنين .

ثانيًا- التخييل :-

يعد الخيال عنصرًا رئيسًا في الإبداع الشعري، وعندما يضعف أو يختفي من النص فأولى به أن يختار له القارئُ جنسًا أدبيًا غير الشعر؛ إذ إنَّه عمود وروح الشعر، والحق أنَّ شعراء التفعيلة من الأزهريين يدركون هذا المعنى جيدًا لأمرين:-

---

١ - ديوان العمر والريح، ص٨٠ .

الأول: أنَّهم أصحاب مواهب حقيقية، والموهبة- بلا ريب- تساعد الشاعر على اقتناص خيالات حالمة جيدة تعلي من قدر المستوى الفني في النص.

الأمر الآخر: أنَّهم بجانب كونهم شعراء فهم نقاد مجيدون، بل أساتذة كبار لهم تراثٌ نقدي زاخر في مختلف فروع الأدب، والثقافة .

من القصائد الجيدة التي اعتمدت على الخيال الممتد الجميل، والصورة الفنية الحديثة قصيدة (القتلُ خلفَ خرائطِ التاريخ) للشاعر (محمد أحمد العزب) يقول فيها على تفعيلة الوافر:-

حَصَادُ الريحِ ما لفَّلفْتُ في بُرِّدِي من الكلماتْ

وقبضُ الريحِ ظِلُّ خُطَايَ من أبدِ الشروقِ إلى غدِ الظلماتْ

يُغني الجدْبُ في شفتيَّ ..

يَمنحُني ذِراعُ الظلِّ مُتَّكأْ

ويُوْلِمُ من دمِ الأمواتِ للأحياء

يولمُ من دم الأحياء للأمواتْ[1]

يرسمُ الشاعرُ من خلال هذه الصورة الفنية لوحة مأساوية قاتمة السواد لجرائم القتل، والظلم التي سجلتها صحائف التاريخ في الزمن الغابر، ويستعين الشاعر-في رسم لوحته- بأدوات فنية حديثة، مثل (التجسيم) في قوله: حصاد الريح، قبض الريح- لفَّلفْتُ في بُرِّدي من الكلمات؛ حيث حوَّل المعنى المجرد إلى واقع مادي محسوس، صوَّر الكلمات بجسمٍ مادي يُلفُ في كساءٍ غليظ، والتشخيص، في قوله: يُغني الجدْبُ، ذِراع الظل؛ حيث بثَّ في الجدب حياة وروحًا ليسمح له بالغناء، وجعل للظل ذراعًا يتكئ عليه من هموم الحياة، ثم الصورة الشنيعة المؤلمة (يولمُ من دم الأموات للأحياء، والعكس)؛ لتوحي ببشاعة الظلم، وجبروت الظالمين الذين لا يميزون بين ميت، وحي، أو بين حق وباطل، ولا يفوتني صورة الرمز المعكوس في قوله: من أبد الشروق إلى غد الظلمات، فهو يرى أنَّه لا أمل في الغد

---

١ - الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٧٩ .

معبرًا عنه بالظلمات، ومما يجدر ذكره أنَّ تلك الرؤى الحديثة من شعر التفعيلة يمكن أن تتعدد فيها منصات التأويل، وتختلف حولها وجهات النظر؛ حيث إنَّها تجارب رحبة حية موحية تشع بالدلالات المختلفة، وتستهدف أكثر من مغزى .

ومن الخيال المتنامي الذي يُكَوِّن مشهدًا متحركًا أمام المتلقي ما جاء في قول (عبدالله شرف)، وهو يُصوِّر وقْع هجرِ محبوبته على نفسه فيخاطبها قائلًا على تفعيلة المتقارب:-

وتنْأَيْنَ عني/ أناديكِ

تَبْدين فوق جواد العِنادْ

يداعبُ منكِ الهوى خصلات الشعور

أناديكِ تبدين جيدًا وبدرًا وشمسًا

تديرين وجهكِ عند النداء

فتظلم كل الشموس

ويرتج تحتي رماد الطريق

ويخبو الشهيقُ كمن يتصاعد نحو القمر[1].

صور الشاعرُ المحبوبة ظبية جميلة، وبدرًا منيرًا، وشمسًا مضيئة، وقد وفق عندما جمع بين القمر والشمس مشبهًا محبوبته بهما معًا مضيفًا بعدًا دلاليًا يخدم الرؤية الشعرية، فالقمر نوره لا يشع حرارة بخلاف الشمس؛ إذن فهي قمر حالة القرب والوصل شمس حالة النأي والهجر، كما أنَّ الخيال الجزئي في النص يسلم بعضه بعضًا حتى نهاية الدفقة الشعورية في ترابط عضوي، وتلاحم فني .

ثالثًا- الإيقاع :-

مما يُلحظُ على شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر اقترابه الشديد- في أغلب قصائده – من روح وطابع الشعر البيتي ذي الشطرين، فالشاعر يلتزم في شعر التفعيلة بوحدة الوزن(التفعيلة)، وذلك على امتداد القصيدة، ويراعي عدم الطول المفرط في السطر الشعري؛ بمعني التقارب النسبي بين

---

١ – ديوان العروس الشاردة، عبد الله شرف، ص٢، الناشر: سلسلة أصوات معاصرة الزقازيق، ١٩٨٠م .

سطور القصيدة في عدد التفعيلات مع حرية زيادتها في أسطر، ونقصانها في أخرىٰ، هذا بالنسبة للوزن، أما عن القافية فقد توافرت في الأغلب، بشكل منتظم، وبهذا يكون شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر قد تحرر–فقط– من شكل الشطرين بمعناه المعروف في البيت الموروث، وما يلحقه من التزام صارم بأحكام الزحافات والعلل، لكن يبقي سحر الوزن، ووميضات القافية التي تبرق من حين لآخر أمرين أساسيين في بنية الشعر الجديد.

الإيقاع في هذا الشعر متنوع مرتبط بالأشكال البنائية التي يكتب علىٰ وفقها؛ إذ إنَّه يقدم في شكل سطر شعري له قافيته التي ينتهي عندها، أو يأتي علىٰ شكل جملة شعرية لها قافيتها، أو علىٰ شكل مقطع شعري يفصله عن غيره قافية معينة؛ إذن فقافية هذا اللون الشعري مرتبطة بوزنه الشعري؛ حيث إنَّها تحدد طريقة الكتابة الشعرية؛ من هنا سيقوم البحث بتحليل البنية الإيقاعية دفعة واحدة، من خلال عرض الأشكال التي يأتي عليها هذا الشعر .

أولًا- نظام السطر الشعري:-

هو نظام الشطر الواحد الذي نادت به (نازك الملائكة) ورفضت كل نموذج عداه .

وخير مثال لهذا النمط الشعري قصيدة(خمسون) للشاعر الدكتور(صابر عبد الدايم)، ومنها قوله علىٰ تفعيلة الكامل: –

١–خمسون والزمنُ استدارْ : مستفعلن / متفاعلان

٢–والعمرُ موصولُ المدارْ : مستفعلن / مستفعلان

٣–ومشاهدُ الوجهِ المحاصرِ ظلُّها الهممُ الكبارْ:

متفاعلن/ مستفعلن/ متفاعلن/ متفاعلان

٤–هذا هو الطفلُ المطاردُ في البروقِ سنًا ونارْ:

مستفعلن/ مستفعلن/ متفاعلن/ متفاعلان

٥–سرقوه من حضن الأمومة في ضحىٰ سلبَ النهارْ:

متفاعلن/ مستفعلن/ متفاعلن/ متفاعلان

٦-كم ظلَّ ينقشُ عمرهَ حقًّا على صدرِ الجدارْ:

مستفعلن/ متفاعلن/ مستفعلن/ مستفعلان

٧-كم ظلَّ يرسمُ حُلمه شجرًا يُضِيء بلا ثمارْ:

مستفعلن/ متفاعلن/ متفاعلن/ متفاعلان .

يتضح من خلال التقطيع السابق للأسطر الشعرية أنَّها التزمت تفعيلة=(وزنًا) واحدًا في القصيدة كلها، وهو(متفاعلن) مع إضمارها-أحيانًا- لتصير(متْفاعلن)، وتنقل إلى(مسْتفْعلن)، كما التزمتْ ضربًا واحدًا(متفاعلان) دخله التذييل: إضافة حرف ساكن على آخر التفعيلة، ما عدا ضربي السطرين الثاني، والسادس؛ فقد لحقهما مع التذييل الإضمار، وهذا التغيير جائز في تفعيلة هذا البحر.

كما التزم الشاعرُ قافيةً موحدةً في الأسطرِ كلها مُكَرِّرًا روي الراء المقيدة(الساكنة) المردوفة بحرف مد الألف (ا) تسبق الروي مباشرة، وكان للقافية دورٌ عظيم في هذا النوع من الشعر؛ حيث إنها: النهاية الموسيقية للسطر الشعري، أو للجملة الشعرية، هي أنسب نهاية لهذا السطر من الناحية الإيقاعية والنفسية، فكلمة القافية هي الوحيدة التي تصنع للسطر الشعري نهاية ترتاح النفس للوقوف عندها[1]، أو لعلَّ المقصود بالقافية في شعر التفعيلة" أنَّها الحرف الأخير الذي تقوم عليه القصيدة، كما في الشعر العمودي، أو تقوم عليه بعض أبياتها فقط، كما هو الغالب في الشعر الحر"[2]، وللقافية دورٌ لا يُغفل في الشعر الحر، فهو يحتاج إليها احتياجًا خاصًا؛ وذلك لأنَّه شعر يفقد بعض المزايا الموسيقية المتوفرة في شعر الشطرين الشائع؛ لذا يعد مجيء القافية في آخر كل سطر، سواء أكانت موحدة، أم منوعة يتكرر إلى درجة مناسبة، يعطي هذا الشعر التفعيلي شعرية أعلى، ويمكِّن الجمهور من تذوقه والاستجابة له، فالحقيقة أنَّ القافية ركن مهم في موسيقية هذا اللون من الشعر؛ لأنها تحدث

١- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ص٢٦٧بتصرف د/ عز الدين إسماعيل، طبعة دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، د. ت .

٢- العروض الجديد " أوزان الشعر الحر وقوافيه" د/ محمود علي السمان، ص١٠٦ .

رنينًا، وتثير في النفس أنغامًا وأصداءً، وهي فوق ذلك فاصلة قوية واضحة بين الشطر، والشطر، والشعر الحر أحوج ما يكون إلى الفواصل خاصة بعد أن أغرقوه بالنثرية الباردة[1].

وهكذا وجدنا وحدة الوزن تتضافر مع وحدة القافية إضافة إلى الإيقاع الداخلي الناتج عن حسن اختيار وتجاور الكلمات، ووقع العبارات .

ثانيًا- إيقاع الجملة الشعرية :-

هي التي لا تلتزم سطرًا وحدًا ينتهي بقافية كما سبق؛ بل إنَّ قافيتها تأتي في السطر الثاني، أو الثالث، ثم تتكرر على هذا النسق في القصيدة كلها .

ومن نماذج هذا اللون ما جاء في قصيدة(ضاربة الرمل) للشاعر محمد إبراهيم أبو سنة، يقول فيها على تفعيلة الرجز:-

ويجهلون أنها : متفعلن / متفعلن

تفتش البحار والسهول والتلالْ : متفعلن/ متفعلن/ متفعلن/ فعولْ

فزوجها وكان راعيًا.. : متفعلن/ متفعلن/ متفعلن

تقول كان سيد الرجال: متفعلن/ متفعلان

التزم الشاعر وزن الرجز(متفعلن) المخبون، كما جاءت القافية في السطر الثاني، والرابع متممة لمعنى الجملة الشعرية(تلال- رجال)، كما يلحظ أنَّ ضرب السطر الثاني جاء مستحدثًا(فعولْ) وقد استخدمه الشاعر(بدر شاكر السياب) في قصيدة (أنشودة المطر)؛ لذا يأتي وزن الرجز عند شعراء التفعيلة غير مقيد بضرب، أو تشكيل معين[2]، كما جاء الضرب الثاني= (متفعلان) مخبونًا مذالًا، كما يُلحظ أنَّ السطر الأول تكون من تفعيلتين، والثاني من أربع تفعيلات، والثالث من تفعيلتين والثالثة مدورة، والسطر الرابع مكون من تفعيلتين؛ وهذا التوزيع المتباين- بين الكثرة والقلة هو جوهر شعر التفعيلة؛ ولعله راجع إلى توزيع الدفقات الشعورية على الأسطر حسب رؤية وإحساس الشاعر.

□

---

١ - ينظر : قضايا الشعر المعاصر، ص ١٦٤أ١٦٥ بتصرف.

٢ -ينظر: موسيقى الشعر العربي قديمه، وحديثه(دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر) د/ عبد الرضا علي، ص٦٢، بتصرف: دار الشروق- عمان- الأردن ١٩٩٧م، ط١ .

ثالثًا- المقطع الشعري:-

عبارة عن عدة أسطر شعرية متتالية تقوم على التدوير بين تفعيلاتها تنتهي بقافية، ثم يبدأ مقطع جديد ينتهي بقافية المقطع الأول، أو بقافية جديدة مغايرة للأول حسب رؤية الشاعر، وحسه الإيقاعي.

يذيع هذا النمط الشعري في نتاج أستاذنا الدكتور: محمد أحمد العزب؛ إذ نسمعه يقول في قصيدة(سَحبْتُ اعتذاري) على تفعيلة المتقارب:-

وأمسِ.. فعولن، وهي مدورة، والنقطتان رمز التدوير في شعر التفعيلة؛ إذ إنَّها تشير إلى أنَّ تكملة التفعيلة في بداية السطر الذي يليها.

اعتذرتُ إليكِ.. فعولُ / فعولن مدورة

اعتذرتُ لأني تورَّطتُ.. فعولُ / فعولن/ فعولن/ فعولُ مدورة

حين زعمتُ بأنكِ عِبءٌ عليَّ فعولُ / فعولُ/ فعولن/ فعولُ

فأطرقَ جرحُ الكلامِ على شفتيكِ عذابًا رشيقا . فعولُ/ فعولن/ فعولُ/ فعولُ/ فعولُ/ فعولن/ فعولن .

المقطع الثاني، ويفصل بينهما الشاعر بوضع ثلاث نجمات هكذا ***

نَعَمْ أنتِ عِبءٌ عَليَّ فعولن/ فعولن/ فعولُ

ولكن وأقسمُ .. فعولن/ فعول مدورة

ليس كما تفهمينَ فعولُ/ فعولن/ فعولُ

ألا تعرفين بأنَّ ممارسة الموتِ في العشقِ.. :- فعولن/ فعولُ/ فعولُ/ فعولُ/ فعولن/ فعولن/ فعولن مدورة

عبءٌ كبيرٌ على القلبِ.. : فعولن / فعولن / فعولُ مدورة

حين يطارد أفقًا غريقًا غريقا ؟: فعولُ/ فعولن/ فعولن/ فعولن .

هذان مقطعان شعريان من قصيدة تحتوي على ستة مقاطع كلها تنتهي بقافية موحدة، هكذا (رشيقا- غريقا- رقيقا- صديقا- رحيقا- حريقا)، وهي قافية مطلقة مردوفة موصولة، والردف هو حرف المد(الياء) الذي يسبق الروي مباشرة، والروي هو القاف المفتوحة، والوصل الألف الناشئة من إشباع فتحة حرف الروي؛ إذن هذه القافية وإن جاءت متأخرة بعد عدة أسطر إلا أنها قد أحدثت تنغيمًا هادئًا جميلًا أسهم مع تنغيم التفعيلة في وجود إيقاع موسيقي للقصيدة.

أعودُ إلى تفعيلة المتقارب التي التزمها الشاعر في كل مقاطعه مستخدمًا زحاف القبض بحذف الخامس الساكن(فعولُ) وهو جائز في وزن هذا البحر، كما نوع الشاعر في استخدامه لعدد التفعيلات في كل سطر حسب رؤيته الفنية، وهذا أمرٌ يعد مقبولًا أما ما لم يقبل منه فهو استخدامه للتدوير بشكل كاد أن يقضي على إيقاع القافية، ومع شيوع التدوير في كثير من قصائد شعر التفعيلة إلا أنَّنا نجد (نازك الملائكة) تعلن رفضها الصريح للتدوير؛ حيث تقول: ينبغي لنا أن نقرر أنَّ التدوير يمتنع امتناعًا تامًا في الشعر الحر؛ فلا يسوغ للشاعر على الإطلاق أن يورد شطرًا مدورًا، وقد أردفت رفضها للتدوير بعدة أسباب، منها:- أن شعر التفعيلة، أو كما تسميه الشعر الحر ليس في حاجة إلى التدوير؛ لأنَّه قائم على شطر واحد؛ فالشاعر الحرية في أن يتم تفعيلته من دون أن يلجأ إلى التدوير حتى وإن طال سطره الشعري، كما أنَّ التدوير يحد كثيرًا من جمال القافية[1].

وقد تجتمع الأشكال الثلاثة في قصيدة واحدة، كما جاء في قصيدة(هذيانٌ في بَهْوِ الفرح) للشاعر الدكتور: محمد أحمد العزب؛ فيقول على تفعيلة الرجز:

١-يومان مرَّا : مستفعلان .

٢-والمدى قيائرٌ وهسّهسةٌ: متفعلن/ متفعلن/ متفعلن .

٣-وكل شبرٍ في دروبي نجمةٌ ونرجسةٌ : متفعلن/ مستفعلن/ مستفعلن/ متفعلن

٤-هذا اعترافي.. : مستفعلن ... مدورة

---

١ - ينظر: قضايا الشعر المعاصر من ص١١٦إلى ص١٢٢، بتصرف .

٥-سجِّلي : مستفعلن

٦- وسجلي أنَّ اعتقالَ البحرِ في عينيكِ يا جميلتي : متفعلن/ مستفعلن/ مستفعلن/ مستفعلن/ متفعلن.

٧-وشايةٌ ووسْوسةٌ : متفعلن/ متفعلن .

أمامنا سبعة أسطر شعرية اشتملت على الأنماط الثلاثة لقصيدة التفعيلة؛ فالسطر الأول والثاني من قبيل الجملة الشعرية، وقافيتها كلمة(همْهمةٌ)، والسطر الثالث سطرٌ شعري مستقل، وقافيته كلمة(نرجسةٌ)، والأسطر من الرابع إلى السابع من قبيل المقطع الشعري المعتمد على التدوير، كما هو واضح من خلال التقطيع.

وعلى كلٍ؛ فإن شعراء الأزهر في شعر التفعيلة قد حافظوا على الإيقاع الموسيقي للقصيدة عن طريق وحدة التفعيلة، ووجود القافية؛ فلم أعثر لهم على قصيدة تخلو من الوزن أو تغيب عنها القافية؛ إنهم يقدمون شعرًا حقيقيًا يقوم على وسطية فنية راقية تعمل على تطوير الإبداع الشعري من خلال ثوابته المتوارثة، ومن أهمها الوزن، والقافية.

(الخاتمة)

أحمد الله المستحق للحمد والثناء، صاحب الجود والفضل والعطاء؛ فقد منَّ علىَّ بإتمام هذا البحث الذي يناقش معالم الوسطية في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر، والحق أنني قد خرجت منه بنتائج ثريَّة، وتوصيات سميَّة، **ومن أبرز تلك النتائج ما يأتي** :-

١- الوسطية الفنية في الشعر لا تعني وسطية المستوىٰ الفني؛ بل يراد بها بلوغ الشعر ذروة الإبداع، وغاية الإمتاع، وقد جاء شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر؛ ليدلل علىٰ ذلك من خلال وضوح وإيجابية الرؤىٰ والمضامين، وجودة البناء وروعة السبك من خلال الشكل الشعري الجديد.

٢- وسطية الموضوعات الشعرية عند شعراء الأزهر في قصائد التفعيلة انطلقت- في أغلبها- من ثقافة إسلامية متفتحة تقوم علىٰ الموضوعية والحياد في النظر إلىٰ القضايا والرؤىٰ المختلفة .

٣- لم يكن شعر التفعيلة بمنأىٰ عن جمال التخييل، فقد احتوىٰ علىٰ أخيلة حديثة مبتكرة، وتقنيات جديدة تناسب المستوىٰ الثقافي للقارئ المعاصر .

٤- اعتمدت قصائد كثيرة علىٰ لغة الإيحاء، وتعدد مسارات التأويل في تلاق حميم، أو تباين سئيم، وهذه سمة من سمات الشعر المعاصر بشكل عام .

٥- التزم شعراء الأزهر بوحدة الوزن، التفعيلة، ووجود القافية؛ فلم يثبت أنهم تخلو عنها قط، كما نوعوا في توزيع التفعيلات علىٰ الأسطر الشعرية، كغيرهم من شعراء التفعيلة موظفين ما يباح من زحافات وعلل تستخدم في شعر الشطرين، ولكن بحرية أكبر أدتْ إلىٰ مرونة وكسر رتابة النمط العروضي القديم .

٦- حفل البحث بشعراء أفذاذ لهم ثقلهم الثقافي والفني، والأكاديمي علىٰ الساحة الأدبية المعاصرة، مثل(أ. د: محمد أحمد العزب، أ . د: صابر عبد الدايم، الإذاعي القدير: محمد إبراهيم أبو سنة، الشاعر: عبد الله شرف، أ .د: أمين سالم) .

□

ومن أهم التوصيات:-

ضرورة توجيه أنظار الباحثين إلى مزيد من الدراسات للموجات الإبداعية الحديثة في أدبنا العربي الحديث، مثل شعر التفعيلة؛ وذلك حتى يقابل هذا السيل الشعري الجديد بدراسات جادة نقدية، ترسم حدوده، وتقيم تجربته، وتؤسس عالمه الفني المستقل .

كما يرى البحث أنَّ ثمَّة موضوعات في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر في حاجة إلى إلقاء الضوء عليها بالدرس والتحليل، ومنها:- الرمزية في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر- المفارقة التصويرية في شعر التفعيلة عند شعراء الأزهر .

كما يرى البحث ضرورة تنبيه وتحذير جمهور الشعر المعاصر من نثرية الشعر التي يتغنى بها أنصاف الشعراء تحت مسمى قصيدة النثر؛ فلا وزن ولا قافية، ولا معنى، ولا خيالًا، ولا هدفًا من الأساس يبتغيه شعراء ذلك اللون، وأتساءل أين الشعر بعد أن ذهبتْ كل مقوماته الأساسية في مهب الريح عند هؤلاء الشعراء؟ !

(فهرس المصادر والمراجع)

أولًا- المصادر:- وتتمثل في الدواوين والأعمال الشعرية الآتية :-

الأعمال الشعرية الكاملة، شعر دكتور: محمد أحمد العزب، طبعة خاصة على نفقة الشاعر، ١٩٩٥م، ط١ .

الأعمال الشعرية الكاملة/ محمد إبراهيم أبو سنة، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٤م، ط١.

ديوان: تأملات في وجه ملائكي، تأليف: عبد الله شرف، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عن سلسلة إشراقات أدبية، ١٩٧٨م، ط١ .

ديوان العروس الشاردة، عبد الله شرف، الناشر: سلسلة أصوات معاصرة الزقازيق، ١٩٨٠م.

ديوان العمر والريح، د. صابر عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م

ديوان القافلة، تأليف: عبد الله شرف، الناشر: سلسلة أصوات معاصرة الزقازيق ١٩٨٤م .

صدى الأيام شعر أمين عبدالله سالم في جزأين(أجنحة البحيرة، وأغنية على شواطئ الضياء)الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، شبين الكوم- المنوفية ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ط١ .

آخرًا- المراجع :-

الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د: عبد القادر القط، الناشر: دار النهضة العربية بيروت-١٤٠١هـ، ط٢ .

أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوى: دار نهضة مصر سبتمبر ١٩٩٦م .

شعر أمين عبدالله سالم دراسة موضوعية وفنية، للباحث: هاني جمعة القرضاوي، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اللغة العربية بالزقازيق عام ٢٠١٧م .

شعر عبدالله شرف دراسة موضوعية وفنية، للباحث: فواز بن عبدالعزيز اللعبون، رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وهى مرفوعة علي شبكة المعلومات الدولية- الإنترنت .

الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/ عز الدين إسماعيل، طبعة دار الفكر العربي، ط٣، د. ت .

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م، ط٤ .

العروض الجديد(أوزان الشعر الحر وقوافيه) د/ محمود علي السمان، الناشر: دار المعارف، ١٩٨٣م .

قضايا الشعر المعاصر تأليف: نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، ١٩٦٧م، ط٣

لسان العرب، لابن منظور، ت: الأساتذة: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي: الناشر: دار المعارف، د. ت .

المذهب الأدبي الوسط، للدكتور: يوسف محمد فتحي عبد الوهاب، المجلد السابع، العدد رقم (٢٨) حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية .

معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، الناشر: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، هيئة المعجم، ١٩٩٥م .

معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، تأليف: كامل سلمان الجبوري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٢٤ه-٢٠٠٢م، ط١ .

مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م .

موسيقى الشعر العربي قديمه، وحديثه(دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر) د/ عبد الرضا علي، دار الشروق- عمان- الأردن ١٩٩٧م، ط١ .

الوسطية في منهج الأدب الإسلامي تأليف أ . د/ وليد إبراهيم القصاب، الناشر: روافد تابعة لشئون الأوقاف بدولة الكويت- ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، الطبعة الأولى .